مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

النقد الثقافي ممارسةً شعرية قراءة في نماذج منتخبة لنزار قباني

محمد يونس صالح [1]

جامعة الموصل / كلية التربية الاساسية / الموصل – العراق [1]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2026/6/10

تاريخ المراجعة : 2026/6/30

تاريخ القبول : 2026/7/26

تاريخ النشر : 2026/9/1

الكلمات المفتاحية :

النقد الثقافي، ممارسة شعرية، نماذج منتخبة، نزار قباني، شعر نزار قباني

معلومات الاتصال

محمد يونس

mohamedyo@uomosul.edu.iq

الملخص

ليس من مهام هذا البحث قراءة شعر نزار قباني قراءة في ضوء النقد الثقافي، وإنما تكمن مهمته في تتبع نزار قباني نفسه بوصفه ممارساً للنقد الثقافي في نصوصه الشعرية، وهي ممارسة بدت واضحة من خلال اطلاعنا على كم شعري كبير انشغل فيه نزار قباني بنقد الواقع الثقافي والقيم الاجتماعية والسياسية في بنية القصيدة ذاتها، بمعنى أن هذا البحث معني أولا بظاهرة نقد الثقافة على نحو يمكن من خلاله أن نجد تمثلات للنقد الثقافي والكثير من مقولاته داخل العملية الشعرية نفسها بحيث نجد أنفسنا ونحن نقرا لنزار أمام ممارسة نقد – ثقافية يمارسها الشاعر ابداعيا بعد أن مارسها على نحو ما في نثره ولقاءاته الصحفية والتلفزيونية. ذلك ان النشاط النقدي بوصفه الحارس الجمالي والقيمي للمنتج الابداعي كونه يقرأ ويقيم ويوجه، فإن ذلك لم يمنع الشعراء الذين يمتلكون وعيا ثقافيا من أن يمارسوا هذه المهام من خلال الشعر نفسه نتيجة وعيهم الشعري الذي ينظر الى الثقافة نظرة المقيم والناقد، وهنا يمتزج الحدث النقدي بالحدث الشعري نفسه، ليجد المتلقي نفسه أمام مايمكن أن نسميه بالقصيدة الناقدة، ومايهمنا هنا في هذا البحث تحديدا هو القصيدة الناقدة للثقافة، التي تطرح وجهات نظر في الثقافة وطرحا الابداعي يمتلك الى حد بعيد وجهة نظر نقدية تنقد وتشخص عيوبا ثقافية مما يجعل من القصيدة نصا إبداعيا وناقدا للثقافة على حد سواء، مع الاحتفاظ بخصوصيتها كعمل إبداعي بالدرجة الأولى، وهذا نموذج من القصائد التي وجدنا شعر نزار قباني حافلا بها على نحو يمكن من خلال قراءتها وتحليلها أن نجد نزارا ناقدا ثقافيا إلى حدما يمارس هذا اللون النقدي في مضان ابداعه الشعري، خاصة وأن نزار الشاعر عرف بمواقفه النقدية في كتاباته النثرية ومقابلاته الصحافية كمبدع يمتلك حسا نقديا وقناعات اجتماعية وسياسية وثقافية يبدو أنها تسللت إلى ابداعه الشعري كما سنفصل في مضان هذا البحث

DOI: **********,,

©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Cultural criticism as a poetic practice: A reading of selected works by Nizar Qabbani

Mohammed Younis Saleh [1]
University of Mosul / College of Basic Education / Mosul - Iraq [1]

Article information

Received : 10/6/2026
Revised 30/6/2026
Accepted : 26/7/2026
Published 1/9/2026

Keywords:
Cultural criticism, poetic practice, selected examples, Nizar Qabbani, Nizar Qabbani's poetry

Correspondence:
Mohammed Younis
mohamedyo@uomosul.edu.iq

Abstract

This research does not aim to read Nizar Qabbani's poetry in light of cultural criticism. Rather, its mission lies in tracing Nizar Qabbani himself as a practitioner of cultural criticism in his poetic texts. This practice became evident through our exposure to a large body of poetry in which Nizar Qabbani engaged in criticizing the cultural reality and social and political values within the structure of the poem itself. In other words, this research is primarily concerned with the phenomenon of cultural criticism in a way that allows us to find representations of cultural criticism and many of its tenets within the poetic process itself. Thus, when we read Nizar, we find ourselves confronted with a cultural criticism practiced creatively by the poet, after he had practiced it in some way in his prose and his press and television interviews. While critical activity acts as the aesthetic and ethical guardian of creative output—reading, evaluating, and guiding—this has not prevented poets with cultural awareness from fulfilling these roles through poetry itself. Their poetic consciousness views culture through the lens of both evaluator and critic. Here, the critical act merges with the poetic act itself, presenting the reader with what we might call a critical poem. In this research, we are specifically concerned with the poem that critiques culture, offering perspectives on culture and its outcomes in a creative manner. This approach possesses a significant critical

viewpoint that identifies and analyzes cultural flaws, thus transforming the poem into both a creative and culturally critical text, while retaining its primary function as a creative work. This is an example of the poems we found in Nizar Qabbani's poetry, which, upon reading and analysis, reveal him to be a cultural critic to some extent, practicing this critical approach within his poetic creations. This is particularly noteworthy given that Nizar the poet was known for his critical stances in his prose writings and interviews. The journalist, as a creative individual, possessed a critical sense and social, political, and cultural convictions that seem to have permeated his poetic work, as we will detail later in this research

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

التمهيد: في مفهوم النقد الثقافي؛ ماهيةً ونشأةً وآراءَ وآلياتٍ.

1- النقد الثقافي غربياً: المفهوم والدواعي

النقد الثقافي واحدً من أبرز التحولات النقدية التي شهدتها حركة النقد المعاصر، في النصف الثاني من القرن العشرين، نقَلَ الاهتمام من تحليل البنية الجمالية للنصوص إلى الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة التي تتحكم في إنتاجها، فالنص الأدبي – وفق هذا المنظور – لم يعد كيانًا جماليًا مستقلًا، بل أصبح وثيقة ثقافية تُظهر علاقات السلطة، والهيمنة، والهوية، والجنوسة، والطبقة، والإيديولوجيا...

وقد نشأ النقد الثقافي بوصفه ردّ فعل على المناهج الشكلانية والبنيوية التي حصرت اهتمامها بالبنية الداخلية للنص، متجاهلة السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تنتجه. لذا سعى هذا الاتجاه إلى إعادة وصل الأدب بالواقع، والنص بالمجتمع، والجماليات بالسلطة والمعرفة.

النقد الثقافي منهج نقدي يهتم بدراسة الأنساق الثقافية الكامنة داخل الخطابات الأدبية وغير الأدبية، والكشف عن الأبعاد الإيديولوجية والمعرفية التي تنتجها الثقافة داخل المجتمع.، ويعرف النقد الثقافي بأنه بأنه: "فرع من فروع النقد النصوصي العام، مهمته كشف الأنساق المضمرة في الخطاب الثقافي بكل تجلياته"(الغذامي، 2005، 78)، ويرى ريموند وليامز أن الثقافة ليست مجرد نتاج فني أو فكري، بل «طريقة حياة كاملة»؛ أي إن الثقافة تشمل أنماط التفكير والسلوك والسلطة والقيم الاجتماعية. (وليامز، 2011، 21)

ويذهب ستيوارت هول إلى أن الخطابات الثقافية تُنتج المعنى داخل المجتمع، وأن الثقافة مرتبطة بإعادة إنتاج السلطة والهيمنة الرمزية. (هول، 2015، 33) ومن هنا فإن النقد الثقافي لا يدرس «جمالية النص» فحسب، بل يبحث عمّا يخفيه النص من أنساق ثقافية واجتماعية وإيديولوجية.

ظهر النقد الثقافي نتيجة تحولات فلسفية وفكرية معقدة شهدها الغرب بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد وصول المناهج الشكلانية في دراسة الأدب والثقافة إلى حالة ركود معرفي، يشخصه تيري إيغلتون بالقول " إن المناهج الشكلانية قد نزعت الأدب من شروطه التاريخية والاجتماعية، وحولته إلى بنية لغوية مغلقة".(إيغلتون، 2014، 84) وانطلاقا من قناعات كهذه، واستجابة لحركية النشاط النقدي التي لاتقبل الثبات، فقد ظهرت تيارات مضادة تدعو إلى إعادة ربط النص بسياقه الثقافي والاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى صعود الدراسات الثقافية في ستينيات القرن الماضي، إذ تأسس مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنغهام البريطانية سنة 1964، وكان من أبرز أعلامه ريتشارد هوغارت وريموند وليامز وستيوارت هول. وقد اهتم هذا الاتجاه بدراسة الثقافة الشعبية والإعلام والطبقات الاجتماعية وعلاقات الهيمنة، مما مهّد لظهور النقد الثقافي بوصفه ممارسة تكشف السلطة داخل الخطابات. (ديورنج، 2005، 17– 20)

ومن ثم أسهمت فيما بعد أفكار ميشيل فوكو وجاك دريدا في بلورة النقد الثقافي، خاصة ما يتعلق منها بعلاقة المعرفة بالسلطة، ونقد المركزيات الفكرية. فقد رأى فوكو أن الخطاب ليس بريئًا، بل هو أداة للهيمنة وإنتاج السلطة. (فوكو، 1985، 11) وأما دريدا فقد كشف عن التناقضات الكامنة داخل الخطابات المركزية، وهو ما أفاد النقد الثقافي في اتجاهه الى تفكيك الأنساق المضمرة للغة والنصوص والخطابات..

2– التطبيقات العربية للنقد الثقافي

دخل النقد الثقافي إلى الساحة العربية متأخرًا نسبيًا، خاصة في تسعينيات القرن العشرين، متأثرًا بالترجمات الغربية والدراسات ما بعد البنيوية.، وقد حاول النقاد العرب تجاوز النقد البلاغي والجمالي التقليدي باتجاه دراسة: السلطة، الذكورية، الخطاب الديني، الثقافة الشعبية، صورة المرأة، أنساق القبيلة والفحولة ويُعد كتاب النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية من أهم الكتب العربية المؤسسة لهذا الاتجاه.

غير أن ذلك لاينفي أسماء عربية أخرى كان لها وقفات نقدية ثقافية يمكن عدها تطبيقا مبكرا لهذا النوع من النقد، إذ يُعد طه حسين من أوائل من مارسوا نقدًا ثقافيًا مبكرًا، خاصة في قراءته للتراث العربي والشعر الجاهلي، إذ لم يتعامل مع النصوص بوصفها كيانات جمالية معزولة، بل ربطها بالبنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للعصر. وخاصة في كتابه في الشعر الجاهلي مارس نقدًا للسلطة الثقافية الموروثة، وشكّك في مركزية الرواية التقليدية، محاولًا الكشف عن البنية الثقافية التي أنتجت النصوص. (حسين، 1989، 7–15)

كما يبرز في هذا المضمار اسم علي الوردي في تحليل الأنساق الاجتماعية والثقافية **اذ** يعد علي الوردي من أقرب المفكرين العرب إلى روح النقد الثقافي قبل ظهوره الاصطلاحي، لأنه اشتغل على: نقد البنية الاجتماعية، وتفكيك العقل الجمعي، وكشف التناقضات الثقافية في المجتمع العربي. وقد مارس نوعًا من «تفكيك النسق الثقافي» في تحليله للشخصية العربية والعراقية. (الوردي، 1995) كما في كتابه (وعاظ السلاطين) وفيه يكشف العلاقة بين الخطاب الديني والسلطة السياسية، وكيف تتحول الثقافة إلى أداة تبرير

وهيمنة. (الوردي، 1995، 35–42) وكتابيه (مهزلة العقل البشري) و(اسطورة الأدب الرفيع) وفيهما نقد للأنساق الفكرية الجامدة والتناقضات الثقافية والاجتماعية. (الوردي، 2001، 18)

وكذلك نجد: أدونيس في نقده للثابت الثقافي في مشروعه الفكري، خاصة كتابه(الثابت والمتحول)، اذ قام أدونيس فيه بتحليل الثقافة العربية بوصفها صراعًا بين: الثابت السلطوي، والمتحول الإبداعي. (أدونيس، 2006، 12–30)

كما نجد أيضا محمد عابد الجابري الذي اهتم بنقد العقل العربي بوصفه نسقًا ثقافيًا ومارس نوعًا عميقًا من النقد الثقافي عبر مشروعه الضخم في تحليل بنية العقل العربي. **من** خلال تركيزه **على** آليات التفكير، وأنظمة المعرفة، والسلطات الثقافية الكامنة في التراث. (عابد، 2009، 11–26؛ عابد، 2008، 33) وقد كان مشروعه قائمًا على تفكيك «النسق المعرفي» العربي، وهو مفهوم قريب جدًا من فكرة النسق الثقافي عند النقد الثقافي الحديث.، وقد كشف عن هيمنة النسق التقليدي في الثقافة العربية، وهو قريب جدًا من اشتغال النقد الثقافي على الأنساق المضمرة. وهو ما حفز جورج طرابيشي **لأقامة** مشروعه النقدي الضخم، (نقد نقد العقل العربي)، فقد مارس ميتا نقدًا ثقافيًا للعقل العربي ولخطاب محمد عابد الجابري نفسه.(طرابيشي، 1996، 5–14)

ومما يذكر في هذا المجال جهود يوسف عليمات الذي يعد هو الاخر من الأسماء العربية المهمة في ترسيخ النقد الثقافي عربيًا، لكنه يأتي زمنيًا في مرحلة لاحقة نسبيًا مقارنة بالإرهاصات التأسيسية السابقة التي مهّدت للمجال قبل عبد الله الغذامي .ومع ذلك فإن إسهامه يُعدّ مهمًا من جهة: التأصيل النظري، وتطبيق النقد الثقافي على الأدب العربي، وربطه بالدراسات ما بعد الكولونيالية والأنساق الثقافية. وقد اشتغل يوسف عليمات على توضيح مفاهيم: النسق الثقافي، والهامش والمركز، وتمثيلات الهوية، والخطاب الثقافي، وعلاقة الأدب بالسلطة. (عليمات، 2012، 9–25) وغير ذلك من اهتمامات النقد الثقافي.

3– آليات اشتغال النقد الثقافي

يعتمد النقد الثقافي على مجموعة من الآليات المنهجية التي تساعده في كشف المضمر الثقافي داخل النصوص، ومن أبرزها كشف النسق الثقافي المضمر، إذ يُعد النسق الثقافي أهم مفهوم في النقد الثقافي، ويقصد به البنية الفكرية الخفية التي تتحكم في إنتاج الخطاب. فقد يبدو النص جماليًا في ظاهره، لكنه يخفي أنساقًا خطيرة تؤثر في وعي القارئ وتغير من نظرته الى جوهر الاشياء بل وقد تخدعه جماليا وتستغفله مثل طغيان الذكورية، الطبقية، المركزية العرقية، الهيمنة السياسية، التمييز الاجتماعي

ويؤكد عبد الله الغذامي أن مهمة النقد الثقافي الأساسية هي «تعقب النسق المختبئ خلف البلاغة والجماليات. (الغذامي، 2005، 79) لذا يعمد الناقد الثقافي الى تفكيك الخطابات وكشف تناقضاتها الداخلية وعلاقاتها بالسلطة. ومن خلال ذلك يتم الكشف عن: ما يقوله النص، وما يخفيه، ومن يمتلك سلطة الكلام داخله، وكيف تُنتج الهيمنة الثقافية

و يركز النقد الثقافي تحليل علاقات السلطة: على العلاقة بين الثقافة والسلطة، إذ يرى أن المؤسسات الاجتماعية والإعلامية والأدبية تُنتج أنماطًا من الهيمنة الرمزية. ويشير أنطونيو غرامشي إلى مفهوم «الهيمنة الثقافية» الذي يعني سيطرة الطبقات المهيمنة على الوعي الاجتماعي عبر الثقافة. (غرامشي، 1991، 1/ 312)

لذا تشكل ’آلية (نقد المركزيات) الى تفكيك المركزيات الفكرية مثل: المركزية الغربية المركزية الذكورية المركزية العرقية مركزية السلطة، ومن هنا ارتبط النقد الثقافي بدراسات: ما بعد الكولونيالية والنقد النسوي الدراسات العرقية، دراسات الهامش والشعبوي (الغذامي، 2004، 53)

لقد مثّل النقد الثقافي تحولًا جذريًا في طبيعة القراءة النقدية، إذ تجاوز حدود الجماليات الشكلية إلى تحليل الثقافة بوصفها نسقًا منتجًا للسلطة والمعنى. ومن خلال آلياته المختلفة استطاع أن يكشف الأنساق المضمرة داخل الخطابات الأدبية والاجتماعية، وأن يعيد ربط الأدب بقضايا المجتمع والتاريخ والهوية.

ولعل أهمية هذا الاتجاه تكمن في قدرته على قراءة النصوص بوصفها مرايا للثقافة وآلياتها الخفية، لا مجرد أعمال فنية معزولة عن الواقع؛ لذلك أصبح النقد الثقافي من أكثر المناهج تأثيرًا في الدراسات الإنسانية المعاصرة.

في العينة: استشراف ونماذج تحليلية

1–نزار قباني ورؤيته النقدية للثقافة العربية

يُعد نزار قباني واحدًا من أكثر الشعراء العرب إثارةً للجدل في الثقافة العربية الحديثة؛ لأنه لم يكن شاعر حب ومرأة فحسب، بل كان صاحب مشروع ثقافي ونقدي متكامل، اتخذ من الشعر أداةً لمساءلة البنية الحضارية العربية وكشف تناقضاتها السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد تجاوزت تجربته حدود الغنائية التقليدية لتتحول إلى خطاب احتجاجي يشتبك مع: السلطة، والذكورية، والقمع الثقافي، والهزيمة الحضارية، وقضية المرأة، وأزمة التجديد، والهوية العربية .

وقد ظهرت رؤيته النقدية بوضوح في كتبه النثرية، خاصة كتابيه (الحب والجنس والثورة) (قباني، 1974) و(الشعر قنديل أخضر) (قباني، 1998) فضلا عن كتابه (لعبت باتقان وهاهي مفاتيحي) (مفاتيحي، 1990) الذي ينتهج نهج السيرة الابداعية، و فضلا عن كتبه الاخرى التي رسخ من خلالها قناعاته ورؤاه للواقعين الابداعي والثقافي للوضع العربي، وهو في كتبه النثرية هذه يبدو حريصا على أن يدلي بوجهة نظره تجاه ابداعه والابداع العربي بعامة حرصا على أن يفهم فهما صحيحا ويوصل رسالته الابداعية والفكرية نثرا وشعرا على السواء، منطلقا من قناعة أنه أولى بأن يُفهم القارئ مقاصده ورؤاه قبل أن تطاله مباضع النقاد الذين يبدو أنه لايثق بهم كثيرا في ظل ثقافة يراها تفتقر الى الموضوعية والغوص الى جوهر الاشياء إذ يصدر كتابه السيري (قصتي مع الشعر) (قباني، 1970، 7) بمقولة توحي بذلك يقول فيها " أكتب قصتي مع الشعر قبل أن تتولى لحكمي مباضع النقاد ويفصلون صورتي على هواهم " (قباني، 1970، 3).

إن شاعرا اهتم بنقد الثقافة وحرص على أن تكون له رؤى نقديبة يدافع بها عن ابداعه من خلال كتبه النثرية التي لاتتعامل مع النقد بصرامة منهجية بقدرما توضح وجهات نظر وقناعات مبدع يريد الحديث مع قارئه حديثا انطباعيا، فمن المنطقي جدا والحال هذه أن لاتخلو قصائده نفسها من هذه القناعات التي تتخذ شكل ومضات نقد ثقافية نحرص في هذا البحث على الوقوف عندها لنرى كيف تتبلور القناعات النقدية مقولات ثقافية فيها من اهتماتمات النقد الثقافي مايجعل الممارسة النقدية الثقافية داخل بنية القصيدة ميزة من ميزات هذا الشاعر، ذلك أن نزار كان يرى أن الثقافة العربية تعيش حالة من الجمود، والقمع، والخوف من الحرية، وهيمنة التقاليد السلطوية. ولذلك فإن مشروعه الشعري قام على زعزعة الثابت الثقافي، وكشف البنية المحافظة التي تكبل الإنسان العربي. يقول في كتاب الحب والجنس والثورة: " إن معركة تحرير المرأة ليست إلا وجهًا من وجوه تحرير الإنسان العربي كله" (الحب والجنس، 1974، 18) وهذا النص يكشف أن قضية المرأة عنده لم تكن قضية عاطفية جزئية، بل جزءًا من مشروع حضاري لتحرير المجتمع العربي من أنساقه القمعية. كما يرى أن الثقافة العربية تعاني انفصالًا بين الخطاب والممارسة، إذ يقول:" نحن أمة تتكلم كثيرًا عن الحرية، وتمارس كل أنواع العبودية". (قباني، 1974، 44) وهنا يتحول الخطاب الشعري عنده إلى نقد ثقافي للمجتمع العربي بوصفه بنية مزدوجة تمارس القمع باسم الأخلاق أو التقاليد أو السياسة.

لقد شكّلت العلاقة بين المثقف والسلطة محورًا أساسيًا في تجربة نزار قباني، خاصة بعد هزيمة 1967، إذ تحولت قصيدته إلى خطاب احتجاج سياسي وثقافي.وقد رأى أن السلطة العربية: تصادر حرية الإنسان، وتدجّن المثقف، وتحول الثقافة إلى جهاز دعائي .يمكن النظر إلى نزار قباني بوصفه شاعرًا مارس شكلًا مبكرًا من النقد الثقافي؛ لأنه: كشف الأنساق الذكورية، وهاجم السلطة، وانتقد الخطاب الاجتماعي، وفضح الازدواجية الثقافية، ودافع عن المرأة بوصفها رمزًا للتحرر، حتى تحولت القصيدة عنده إلى أداة تفكيك ثقافي للمجتمع العربي. ولذلك فإن شعره لا يمكن اختزاله في الغزل، بل ينبغي قراءته ضمن مشروع ثقافي حداثي واسع خاصة بعد قصيدته هوامش على دفتر النكسة التي مثلت كمايعترف هو (قباني، 1974، 47) تحولا كبيرا في شعريته من الانغلاق على موضوع المرأة الى الانفتاح على اشكاليات المجتمع العربي وعذاباته السياسية والاجتماعية.

2-القصيدة الناقدة للثقافة عند نزار قباني، نماذج تحليلية

إن قراءة عامة واستشرافية في شعر نزار قباني توقفنا على ممارسات نقد ثقافية في بنية القصيدة عنده وهي ممارسات يمكن أن نجدها مبثوثة في الأعم الأغلب من شعره، وهي ممارسات يمكننا تصنيفها وتحليلها على النحو الآتي

أ- نقد السلطة وتعرية ثقافة الهيمنة السياسية.

في هذا النمط من الممارسة الثقافية ينتهج نزار قباني نهجه المعروف بالمشاكسة السياسية التي تصف قبحيات الواقع السياسي العربي في عصره كماهي دون تجميل أو تزويق، فيبدو الشاعر فيها واقعيا ومصابا بخيبة كبرى وهو يرى واقعه القومي في حال لا تسره، فينبري هنا لتمثل الواقع ووضع يده على الداء فيشخص

مرض الهيمنة السياسية سواء أكانت هذه الهيمنة من طرف حكام العرب في ذلك الوقت تجاه شعوبهم، أم من طرف القوى الامبريالية والاستعمارية التي استعبدت الشعوب وأذلتها وسلبتها خيراتها بحجة إعمارها، يقول في قصيدة يوميات سياف عربي:

" أيها الناس:/ لقد أصبحت سلطانا عليكم/ فاكسروا أصنامكم بعد ضلال واعبدونى.../ إحمدوا الله على نعمته / فلقد أرسلني كى أكتب التاريخ، / والتاريخ لا يُكتب دوني " (قباني، **2006، 3/ 53)**

إن نزارا الشاعر في هذا النص ينكفئ من وجهة نظر النقد الثقافي، ويترك الحديث للمهيمن السياسي الذي هو السلطة بمعناها الشامل، وهي سلطة آمرة كما هو السائد، والشعوب هي المأمورة وهذا مايفسر أنبناء القصيدة بعامة على فعل الأمر المقترن بخطاب الجماعة إكسروا، إحمدوا، اسجدوا،..الخ، وهي أفعال تخفي مضمرا نسقيا من خلال نبرة الاستعلاء السلطوي التي درجت الثقافة العربية على تمريرها الى الانسان العربي، وكأن في النص مسكوتا عنه مفاده أن لولا أن السلطة قد وجدت حجة في انكسار الشعوب وتخليها عن دورها في الحياة وعن حقوقها وعن فهم ماهية العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم، لما تجرأت هذه السلطة على استغفال الشعوب والحديث معها بصيغة المتفضل الذي يمن بالظلم على الناس لعلم هذه السلطة أنها بإزاء شعوب تربت ثقافيا على تقديس السلطة تقديسا يؤدي في النهاية الى صناعة طاغية، وهي صناعة يبدو من خلال القصيدة أن العرب من وجهة نظر الشاعر بارعون فيها، وهذا ماتؤكده مجريات القصيدة التي تجعل الذات السلطوية المتحدثة في النص تشبه نفسها برموز اجتماعية ودينية وسياسية مقدسة ومرعبة على السواء، فهي يوسف في الحسن، ومجنون ليلى في العشق، والحجاج في الترهيب، وجنكيز خان في الإخافة:

أيها الناس: / أنا الحجاج إن أنزع قناعي تعرفوني/ وأنا جنكيز خان جئتكم.. / بحرابى.. وكلابى.. وسجوني / لاتضيقوا أيها الناس ببطشي / فأنا أقتل كى لاتقتلوني.... " (قباني، 2006، 54)

بل ونقرأ في مقطع آخر جرأة الذات الثقافية المتحدثة في النص جرأة تصل بها إلى حد أدعاء الألوهة:

أيها الناس:/ أنا أملككم كما أملك خيلى وعبيدي / وأنا أمشى عليكم مثلما أمشى على سجاد قصرى / فاسجدوا لى فى قيامي / واسجدوا لى فى قعودي" (قباني، 2006، 56)

ينبني هذا النصيص على ثنائيات الأنا والأخر، والحاكم والمحكوم، والثقافة والموروث الثقافي، إذ يمكن ان تتجسد كلها بوصفها مفرزات ثقافية يرتدي فيها الشاعر قناع الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أوصلته الثقافة إلينا بوصفه أحد أكثر القادة قسوة وسفكا للدماء، إذ ينكفئ صوت الشاعر في هذا المقطع وفي القصيدة عموما، ويترك للقناع مهمة قيادة دفة الحكي، وهو قناع يمكن فهمه على أنه يغطي وجهين، وجه الشاعر نفسه من خلال استبداله بصوت وصورة الحجاج، كما يغطي وجه الحجاج نفسه ليعممه على السلطة في كل مجتمع قمعي يصنع طغاته بنفسه سواء بوعي أم بلاوعي، وهذ الخط الفكري عند نزار قباني يشكل محور معظم أعماله التي نتلمس فيها نقدا ثقافيا يعري الثقافة التي كرست عند الشعوب تقديس السلطة الى الحد الذي بدأت السلطة معه ممارسة طغيان سياسي تراه حقا من حقوقها وميزة من ميزاتها لذا فهي لاتتورع عن طلب التقديس والركوع

والسجود من شعوبها وهي مطمئنة إلى أنها لن تجد مجابهة من شعوبها النائمة والمخدرة، وبالمنطق نفسه في القصيدة ذاتها نجد هذه (المنة) الثقافية من السلطة على الشعوب تمارس دورها الألوهي بمنتهى الاطمئنان لتلبس لبوس المنقذ الذي لاغنى للشعوب عنه، يقول الشاعر على بلسان قناعه:

" **يا جماهير بلادي / ياجماهير العشوب العربية / إنني روحٌ نقيٌّ جاء كي يغسلكم / من غبار الجاهلية**" (قباني، 2006، 57)

وفي مفصل من مفاصل القصيدة ذاتها نجد الشاعر يبرر سلوك السلطة، اذ ترى السلطة نفسها صنيعة من صنيعة الشعوب التي لم تجرؤ على المطالبة بحقوقها ولم ترفع كلمة رفض أو تسلك سلوكا ثوريا تجاه السلطة، فيلمح الشاعر ضمنا أن ثقافة الصمت والرضى بالظلم هي الأساس في استفحال الإجرام السلطوي في الثقافة العربية، التي فقدت القدرة على الثورة والاصلاح: يقول:

" **منذ أن جئت الى السلطة طفلا.. لم يقل لى مستشار القصر: (كلّا) / لم يقل لي وزرائي أبدا لفظة: (كلّا)/ لم تقل إحدى نسائي فى سرير الحب: (كلّا) / إنهم قد علموني أن أرى نفسى إلها / وأرى الشعب من الشرفة رملا.. / فأعذروني إن تحولت لهولاكو جديد / أنا لم أقتل لوجه القتل يوما.. / إنما أقتلكم.. كي أتسلى..**" (قباني، 2006، 102/2)

ب- نقد السلطة الذكورية وهيمنة الفحل الاجتماعي:

ومن جانب آخر يبدو لمتتبع تمظهرات النقد الثقافي في شعر نزار قباني انتقاده الضمني لظاهرة (الفحل الاجتماعي)، وعلى نحو يجمع في صورته وسلوكياته بين النرجسية والدونجوانية والفروسية المزيفة، فينتقي من الثقافة العربية الشعبية ثيمة (الديك) الذي يخفي كدال مضمرا فحوليا جنسيا تعرفه الثقافة الشعبية والواقع العلمي على السواء من خلال قدرة هذا الحيوان الكبيرة على السفاد، وعلى أن يكون مسؤولا وراعيا ومالكا لمجموعة كبيرة من الدجاج في اشارة رمزية الى موروث يكرس الاهتمام بالجنس وترك مجريات الامور الكبيرة التي تعصف بالواقع العربي، يقول **الشاعر يقول في قصيدة الديك:**

" **في حارتنا ديك سادي سفاح / ينتف ريش دجاج الحارة كل صباح / ينقرهن.. يطاردهن.. يضاجعهن.. و يهجرهن../ ولا يتذكر اسماء الصيصان** " (قباني، 2006، 103)

واضح من خلال النص هنا أن الديك هو القادر والفاعل من خلال اسناد الصفات القاسية و الافعال الحركية اليه فهو سادي، سفاح، ينتف، يطارد، يضاجع، يهجر، ولايتذكر ماينتج عن أفعاله ولايتحمل مسؤوليتها (لايتذكر اسماء الصيصان) في حين نجد أن قطيع الدجاج هو المفعول به الذي لايظهر في النص الا بوصفه المستسلم والراضي بقدره، والرازح دون رفض تحت سلطة الديك، ليتكشف من خلال مجريات القصيدة أن الديك وما يحكمه من دجاج ليسا الا المحمول الرمزي للشعوب التي عانت من التسلط السياسي كما تعاني المرأة من التسلط الذكوري وعلى نحو يمزج بين السلطتين السياسية والذكورية ويضعهما في موقع تعرية ومساءلة، ليقول في مقطع آخر:

" في حارتنا ديك يلبس في العيد القومي لباس الجنرالات / يأكل جنسا..يشرب جنسا..يسكر جنسا.. يركب سفنا من أجساد../ يهزم جيشا من حلمات../ في حارتنا ديك عربي../ فتح الكون بألاف الزوجات !!" (قباني، 2006، 103)

إذن فالثقافة العربية التي ينقدها الشاعر في هذا النص ليست مجزأة بمعنى أن القهر الاجتماعي للمرأة مرتبط الى حد كبير بالقهر السياسي للشعوب العربية التي يحاول الشاعر ايقاظها من خلال عرضه لمآل واقعها من خلال رضاها بواقع حالها وعدم فهمها لماهية طبيعة العلاقة بين السلطة والمجتمع وبين المرأة والرجل، بل ويذهب الشاعر إلى أبعد من ذلك وأخطر بكثير عندما يصور المجتمع النسوي نفسه بكونه الراضي والراغب والمستمتع بكونه ضحية أعراف ثقافية ذكورية ترى في سيادة الرجل سيادة مطلقة تلغي خصوصية المرأة وتتجاهل حقوقها، ترى كل ذلك منبع فخر ومبعث نشوة، إذ يقول الشاعر على لسان الثقافة مصورا لحظات من الخضوع والإذلال الجنسي المشوب بالرضا من جهة المتضرر:

"حين يمر الديك بسوق القرية.. مزهوا منفوش الريش../ يصرخ كل دجاج القرية في اعجاب.. / يا سيدنا الديك../ يامولانا الديك../ يا جنرال الجنس.. وفحل الميدان!! / أنت حبيب ملايين النسوان!! / هل تحتاج الى جارية؟../ هل تحتاج الى خادمة../ هل تحتاج الى تدليك؟!!! " (قباني، 2006، 104/2)

ومن جانب آخر، تُعد قضية المرأة المحور الأكثر مركزية في مشروع نزار قباني، لكنه لم يتعامل معها بوصفها موضوعًا غزليًا فحسب، بل بوصفها رمزًا للحرية والإنسان المقهور. إذ كان يرى أن المجتمع الذكوري العربي يقمع المرأة، ويختزلها في الجسد، ويصادر حريتها الفكرية والعاطفية.

وفي قصيدتة المطولة (يوميات امرأة لامبالية)التي تتوزع على مقاطع يتقنع فيها الشاعر بقناع المرأة العربية، يظهر موقف نزار قباني بمظهر الناقد للثقافة واضعا يده على كل مايخص المرأة وماينالها من اضطهاد سياسي واجتماعي وذكوري وأُسري، فجاءت القصيدة نقدا ثقافيا خالصا صب الشاعر فيها موقفه تجاه مواقف المجتمع من المرأة وذلك من خلال استبطان أدق مشاعرها وأعماق نفسيتها وهي ترى نفسها في مجتمع ذكوري لا يرى فيها الا مواطنا من الدرجة الثانية يشعر في بالغبن اجتماعيا وسياسيا وأسريا، يقول في أحد المقاطع على لسان المرأة التي تعرض ماتراه مأساة اجتماعية تنتابها وتنتاب صديقاتها ومجتمعها النسوي في احتجاج ضمني ضد السلطة الذكورية وانتقاد واضح لقيم اجتماعية كرست التسلط الذكوري:

" صديقاتي / رهائن تشترى وتباع في سوق الخرافات / سبايا في حريم الشرق / موتى غير أموات يعشن، يمتن مثل الفطر في جوف الزجاجات / صديقاتي / طيور في مغائرها / تموت بغير أصوات "(قباني، **2006، 86/1)**

في هذه المفصل من القصيدة احتجاج نسوي واضح ضد الممارسات الثقافية التي لاتقيم وزنا لخصوصية الأنثى في مجتمع يراه الشاعر موغلا في ذكوريته إلى الحد الذي يصل معه الكبت والتسلط الذكوري على المرأة إلى اعتبارها كائنا هامشيا خارجا عن دائرة الاهتمام الاجتماعي، فالنساء هنا رهائن وسبايا وموتى يعشن أو

يمتن لافرق بعيدا عن التعاطف الإجتماعي في مجتمع لا يسمع صوت المرأة ولا يقيم وزنا لاحتياجاتها ولايحترم انسانيتها.

وفي مقطع آخر ينطلق الشاعر من ظاهرة أسرية يرى فيها رفعا لسلطة الذكورة وحطا من قيمة الانثى من خلال الثقافة التي تتساهل مع ذنوب الذكر وتضخم ذنوب الانثى تضخيما لاينم عن عدالة ولايبرره عرف أو دين، يقول على لسان الامرأة اللامبالية:

" يعود أخي من الماخور.../ عند الفجر سكرانا.../ ويبقى في عيون الأهل / أجملنا... وأغلانا.. / ويبقى في ثياب العهر / اطهرنا... وأنقانا / يعود أخي من الماخور/ مثل الديك.. نشوانا / فسبحان الذي سواه من ضوء / ومن فحم رخيص نحن سوانا / وسبحان الذي يمحو خطاياه / ولا يمحو خطايانا" (قباني، **2006، 88)**

واضح من خلال هذا النص أن الثقافة الذكورية هي الفيصل في تقييم الانسان اجتماعيا وأسريا، وهي ثقافة يبدو أنها تسللت وتكرست احتماعيا عبر السنين حتى غدت قاعدة اجتماعية وقيمة عرفية راحت المرأة تثور عليها على لسان الشاعر.

ويبدو أن التركيز على الظلم الاسري المنطلق من الهيمنة الذكورية لم يقتصر من وجهة نظر المرأة اللامبالية على الاحتجاج على تفضيل الاخ الذكر على المرأة الانثى، بل طال حتى شخصية الاب الذي تنظر اتليه المرأة المستضعفة نظرة سلبية على غير المعتاد من علاقة البنت بأبيها، وما ذلك الا لأنها تعاني مماتراه قهرا أُسَريا وظلما اجتماعيا كرسته الثقافة منذ القدم وآن للمرأة ان تحتج عليه وتثأر لبنات جنسها منه، جاء في القصيدة:

" لماذا يستبد أبي ؟ / ويرهقني بسلطته.. وينظر لي كآنيه / كسطر في جريدته / ويحرص أن أظل له / كأني بعض ثروته / كفرت أنا.. بمال أبي / بلؤلؤة... بفضته / أبي لم ينتبه يوماً / إلى جسدي.. / وثورته / يثور إذا رأى صدري / تمادى في استدارته / يثور إذا رأى رجلاً / يقرّب من حديقته" (قباني، **2006، 90)**

إن ربط جسد المرأة بالعار في مقابل ربط جسد الرجل وسلوكياته بالطهر المطلق، قد شكلا الثيمة الاساس في هذه القصيدة المطولة، وإذا كان الطابع الثوري المشوب بالاستلاب و الظلم الاجتماعي والاسري قد شكل المضمون العام للقصيدة، فإن الشاعر في نهايتها يفتح كوة من أمل بالتغيير، مشيرا إلى ان الزمن كفيل بأن يرجع الأمور الى نصابها الصحيح وأن السلطة الذكورية لن تمنع في النهاية جسد المرأة وذاتها من أن ينالا الحرية المنشودة، وإن كانت هذه الحرية ستقاد بقيادة ذكورية أخرى لكنها ربما كانت ذكورية أقل ظلما وأكثر تفهما واحتراما لماهية وهوية واهتمامات المرأة،إذ تقول:

أبي...لن يمنع التفاح عن إكمال دورته / سيأتي ألف عصفور / ليسرق من حديقته"(قباني، **2006، 101)**

إن نقد الثقافة الذي يمارسه نزار قباني في نصوصه لا تقتصر على اظهار الرجل بصورة الفحل المتغطرس المتسلح بذكورة قاسية على الدوام، فالشاعر لاينتقد في شعره جنسا بعينه، بل ينتقد ممارسات ثقافية ارتبطت بذلك الجنس الاجتماعي رجلا كان أم امرأة، واذا كان الشاعر في المقطع السابق قد لمح الى امكان نجاة المرأة

من الظلم الاسري على يد رجل آخر يأتيها ويخلصها مماهي فيه، فإنه في قصيدة اخرى يكرس هذا المضمون بأن يجعل الرجل نفسه ثائرا على كل التقالبيد والثقافات التي تمتهن المرأة وتسلعها وتحط من قيمتها، بمعنى أنه يمارس نقد الثقافة الذكورية على يد الرجل الواعي لمجتمعه ويتخذ منه نصيرا للمرأة في مواجهة السلطة الذكورية التي نظرت الى المرأة نظرة نقص، وفي هذا المضمار يمكن التمثيل بقصيدة (بلاغ شعري رقم 1) التي يخاطب الرجل فيها المرأة بمنتهى الرقي والوعي مهاجما الثقافة التي قهرتها وحجمتها وجعلت منها سلعة دون الالتفات الى انسانيتها، يقول في القصيدة:

..أني أفكر فيك تفكير القبيلة بالثريد / وأريد أن تتحولي حجراً.. أطارحه الهوى إياك أن تتصوري / لافرق عندي ان اردتِ ولم تريدي / أنا هارب من كل إرهاب يمارسه جدودك أو جدودي / أنا هارب من عصر تكفين النساء/ وعصر تقطيع النهود" (قباني، **2006، 131)**

.. فصوت الرجل في القصيدة هنا يتماهى مع اهتمامات المرأة ليشكل معها جبهة قيمية في وجه ثقافة الاقصاء والتهميش والقهر الاجتماعي الذي طال المرأة ونظر اليها بوصفها غنيمة حرب واسلاب جيوش مهزومة ومكسبا حربيا وغنيمة قتال كما صورتها الثقافة الموروثة، ويؤكد ذلك في القصيدة ذاتها بالقول:

إياك أن تتخيلي/ أني أفتش عن مغامرة، وأسلاب، وعن غزو جديد / لا أنت من صنف العبيد، ولا أنا أهتم في بيع العبيد / إني أحبك في طموح البحر، في غزل الرعود مع الرعود / وأنا أحبك في احتجاج الغاضبين، / وفرحة الأحرار في كسر القيودِ / وأنا أحبك في وجوه القادمين لقتل هارون الرشيد / هل تصبحين شريكتي.. في قتل هارون الرشيد ؟(قباني، **2006، 132)**

ان هارون الرشيد في هذا النص ينسلخ عن كونه شخصية تاريخية، ليتحول الى رمز ثقافي وتاجر جوارٍ وخواض حروب وباحث عن سبايا وفي توظيفه الماح واضح الى رفض ثقافة الاستلاب والسبي والشهريارية التي ترى في المرأة أداة متعة وتوكيدا للتفوق الحربي والتسلط الذكوري الذي يرى المرأة غنيمة من غنائم الحرب، ومتعة من متاع الذكور دون اعتبار لمشاعرها وانسانيتها. وينطلق نزار في كل هذا من قناعة دائما مايؤكدها وهي قناعة مفادها أن الموروث الثقافي الذي تربت عليه بعض السلوكيات العربية هي السبب المباشر في تأخر المجتمعات العربية التي لم تتبدل نظرتها للمرأة رغم أننا نعيش اليوم عصرا تجاوز النظرة الضيقة للمرأة والانسان عموما،إذ يقول "إن الرجل العربي يطالب المرأة بأن تكون مثقفة، لكنه يخاف من ثقافتها.« (قباني، 1974، 65) كما يقول: إن تخلف المرأة في العالم العربي هو الوجه الآخر لتخلف الرجل"(قباني، 1974، 73) وهذا الطرح يكشف أن نزار كان يربط قضية المرأة بالبنية الحضارية للمجتمع كله.

وفي هذا الصدد يمكن أن نجد في ابداع نزار قباني الاتجاه ذاته، إذ كانت قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) نقدا للثقافة من جهة تكريسها لظاهرة تضخم الذات على نحو مرضي لابد من مراجعته ولابد من أن يكون خطابنا السياسي على وعي بإمكاناتنا الذاتية وإمكانات العدو لتأتي نتائج الصراع منطقية ومتوقعة فلا نعيد النكسات في تاريخنا العربي، وفي هذا المضمار تشكل قصيدة نزار قباني (هوامش على دفتر النكسة) تحولا

في تجربته الشعرية، أثارت جدلا واسعا في المجتمع العربي في وقت نشرها، فحاربها شيوخ الأزهر في مصر، واتموا الشاعر بالرقص على جراح أمته، واستنجد الشاعر بجمال عبد الناصر الذي منع التعرض للقصيدة ووافق على نشرها (قباني، 1970، 32)، جاء في القصيدة قول الشاعر:

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة،/ والكتب القديمة / أنعي لكم.. كلامنا المثقوب، كالأحذية القديمة../ ومفردات العهر، والهجاء، والشتيمة / أنعي لكم.. أنعي لكم / نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة (قباني، 2006، 2/ 312)

هذه بداية القصيدة وواضح من خلالها لغة الانكسار التي صيغت بها، وأن الشاعر يحمّل الثقافة الموروثة التي ضخمت الذات العربية مسؤولية نكسة حزيران، ليضعنا الشاعر أمام لحظو نعي لكل مايراه من مظاهر ثقافية جعلتنا لانرى قوة العدو، نتيجة اعتداد العرب العالي بذاتهم وهم يدخلون حربا لغتها السلاح وليس الخطابات التضخيمية للذات والاغاني الحماسية.

ان اللغة القديمة والكتب القديمة ومفردات الشتيمة من وجهة نظر الشاعر هي التي تسببت بهزيمة حزيران. فالهزيمة من وجهة نظر الشاعر كانت كامنة قبل الحرب ذاتها فهي هزيمة فكرية ادت الى هزيمة عسكرية نتيجة تشبث العرب بأمجاد الأجداد الذين صنعوا مجدا لم يستطع الاحفاد صناعة مايماثله فظلوا يدورون في قلك كل ماهو قديم حتى نسوا واقعهم واعتمدوا في حروبهم على ذاتهم التي تضخمت لتتفاجأ بالهزيمة. وهذا مايتجسد مباشرة في قوله:

" إذا خسرنا الحرب لاغرابة / لأننا ندخلها../ بكل ما يملك الشرقي من مواهب الخطابه/ بالعنتريات التي ما قتلت ذبابه/ لأننا ندخلها../ بمنطق الطبلة والربابة" (قباني، 2006، 312)

إن العنتريات وأناشيد الحروب الحماسية التي تضخم الذات كما تفعل الخطب المنسلخة عن الواقع هي التي كرست في الذات العربية ذاتا مضخمة ترى إمكاناتها في الاناشيد والخطب والقصائد الحماسية دون أن تقرأ الواقع ومتطلبات الحروب، لذا فالنتيجة هي الهزيمة العسكرية كما حدث في هزيمة حزيران. وهنا نجد الشاعر ناقدا ثقافيا يشخص العلة الثقافية التي يراها وينبه عليها ليسهم في الوعي بها كخطوة أولى لحلها. وهذا مايصوره في مقطع آخر بقوله:

" السر في مأساتنا / صراخنا أضخم من أصواتنا / وسيفنا أطول من قاماتنا "(قباني، 2006، 315)

فالشاعر هنا ينبه على مفارقة ثقافية مفادها أن بداية المأساة تكمن في موروث ثقافي وعيب قيمي جعل العربي يرى نفسه المتفوق دائما بحيث يبدو صراخه أكبر من صوته وسيفه أطول من قامته، وهذا قد يبدو نوعا من جلد الذات من وجهة نظر مغايرة، الا ان الواقع بعد هزيمة حزيران يؤكد الحاجة اليه، فالذات المتضخمة التي تتصرف فوق امكاناتها ستصل الى نتائج لاتسرها ومن مهمة الشاعر والناقد الثقافي التركيز على قبحيات الخطاب لاستئصالها ومعالجتها تجنبا لتكرار الانتكاسات اجتماعية كانت أم سياسية.

جـ – الموروث الثقافي، ونقد قبحيات الخطاب.

لم يقتصر نقد نزار قباني شعريا للسلطة الذكورية وللسلطة السياسية وحسب، بل يمكن لمن يتتبع قناعاته وممارساته الناقدة للثقافة أن يجد نقدا لما يمكن تسميته اعتمادا على مصطلحات النقد الثقافي بـ (قبحيات الخطاب)، وهو نقد يتخذ عند نزار قباني صورة رصد ورفض ودعوة الى تصحيح مايراه أنساقا مضمرة تسللت الى ثقافتنا على شكل تقديسي أثر حتى قابلية المبدع في تحديث خطابه، إذ يرى نزار في الكثير من قصائده أن التشبث بطريقة القدماء في الكتابة والابداع قد شكل عبئا ثقافيا أدى إلى تخلف القصيدة العربية وهو تخلف انسحب بالتالي حتى الواقع السياسي والاجتماعي للعرب، وكأنه يؤكد في ذلك ارتباط التخلف السياسي وضياع الأرض بالتخلف الابداعي وكأنهما وحدة متكاملة يؤثر ويتأثر أحدهما بالآخر، وهذا ما يمكن للقارئ أن يتمثله بجلاء في كل مقطع من مقاطع قصيدته المطولة (حوار مع أعرابي أضاع فرسه)، التي يبدؤها بلغة حانقة على تقولب العربي على تراثه والتمركز حوله دون أن يتعامل معه كخطوة تدفعه الى الأمام لتطوير ذاته، إذ يقول:

لو كانتْ تسمعُني الصحراءُ / لطلبتُ إليها أن تتوقّف عن تفريخِ ملايينِ الشعراءْ / وتحرّر هذا الشّعب الطيّبَ من سيفِ الكلماتْ / ما زلنا منذُ القرنِ السّابعِ، نأكلُ أليافَ الكلماتْ / نتزحلقُ في صمغِ الرّاءاتْ / نتدحرجُ من أعلى الهاءاتْ / وننامُ على هجوِ جريرٍ / ونفيقُ على دمعِ الخنساءْ"(قباني، 2006، 1/ 142)

إذن فالثقافة الموروثة في هذا المقطع هي العبء الذي يحسن العربي التعامل معه فظل يدور في فلكه فكانت النتيجة وجود ملايين الشعراء على امتداد الصحراء العربية المترامية، وسيف من الكلمات وركود على نتاج القرن السابع الذي شكل ذروة حضارة لم تستطع أن تجدد نفسها بسبب تواكل بنيها عليها دون أ يكلفوا انفسهم عناء البحث عن الذات والاكتفاء بترديد القصائد القديمة واجترار مضامينها، الأمر الذي نتج عنه أن نعيش خارجة خارطة الاشياء كما يصرح في مقطع آخر اذ يقول:

" ما زلنا منذ القرنِ السابعِ../ خارجَ خارطةِ الأشياءْ نترقّبُ عنترةَ العبسيَّ.. / يجيءُ على فَرَسٍ بيضاءْ/ ليفرّجَ عنّا كربتَنا.. ويردَّ طوابيرَ الأعداءْ../ ما زلنا منذ القرن السابع / نقرأُ (معروفَ الإسكافيَّ) ونقرأُ (أخبارَ الندماءْ) / ونكاتَ جُحا../ و (رجوعَ الشيخِ) / وقصّةَ (داحسَ والغبراءْ)/ يا بلدي الطيّبَ، يا بلدي/ الكلمةُ كانتْ عصفوراً../ وجعلنا منها سوقَ بغاءْ.." (قباني، 2006، 144)

هنا يمتزج النقد بتشخيص قبحيات الخطاب ورفض حالة التواكل والكسل واجترار الثقافة القديمة والاكتفاء بترديدها والفخر بها دون أن يبادر العربي الى مسايرة روح العصر وتثبيت قدمه وتحقيق ذاته فيها، فكانت النتيجة تسلل القبح الى اللغة الشعرية لتنتقل من كونها عصفورا إلى كونها سوق بغاء بكل ماتعنيه الكلمة من نقد اجتماعي مبعثه الاستهانة برسالة الشعر والثقافة. ويستطرد الشاعر في باقي أجزاء القصيدة في إظهار الرفض والعداء لكل تفصيلة من تفصيلات الثقافة التي ساهمت في تحجيم دور الثقافة حتى وصلت بالواقع العربي إلى ضياع المقدسات على الصعيد السياسي أذ يقول:

لو كانتْ نَجدٌ تسمعُني / والربعُ الخالي يسمعني / لختمتُ أنا بالشّمعِ الأحمرِ سوقَ عُكاظْ / وشنقتُ جميعَ النجّارينَ.. وكلَّ بياطرةِ الألفاظْ /..وجلدتُ الهمزةَ في لغتي.. وجلدتُ الياءْ / وذبحتُ السّينَ.. وسوفَ.. وتاءَ

التأنيثِ البلهاءْ/ والزخرفَ والخطَّ الكوفيَّ، وكلَّ ألاعيبِ البُلغاءْ/ وكنستُ غبارَ فصاحَتنا../ وجميعَ قصائدنا العصماءْ../ لو أنَّ القدسَ لها شفةٌ../ لاختنقت في فمها الصلواتْ.../ لو أنَّ.. وما تُجدي (لو أنَّ).. / ونحنُ نسافرُ في المأساةْ ونمدُّ الأرضَ المحتلّةْ../ حبْلاً شعريَّ الكلماتْ / ونمدُّ لياقا منديلاً طُرِّزَ بالدمعِ.. وبالدعواتْ / يا بلدي الطيّبَ.. يا بلدي / ذبحتك سكاكين الكلمات" (قباني، 2006، 146)

الخاتمة

لم يكن نزار قباني شاعرًا رومانسيًا خالصًا كما حاول بعض النقاد تصويره، بل كان ناقدًا اجتماعيًا حادًا. فهو يرى أن المجتمع العربي تحكمه عقلية أبوية، وثقافة قمعية، وخوف مزمن من الحرية والجسد والحب.، كما كان يرى أن قمع الجسد جزء من قمع الإنسان العربي كله. ولهذا ارتبط مشروعه الشعري بالدفاع عن الحرية الفردية، وحق المرأة، وحق التعبير، والجسد بوصفه قيمة إنسانية لا عيبًا ثقافيًا .

وعلى المستوى السياسي شكلت ظاهرة الشعور بالتفوق وتضخم الذات ظاهرة بارزة في شخصية الانسان العربي منذ العصر الجاهلي، وهي ظاهرة لاتخرج عن كونها أحد احتمالين، الأول أنها استحقاق قيمي يجد في الواقع مايؤيده من كون العرب قد بنوا حضارة لها مكانتها في ركب الحضارات الانسانية، ولكن ذلك لايمنع من وجهة نظر النقد الثقافي وجود الاحتمال الثاني الذي يرى فيها ظاهرة سلبية ينبغي الوقوف عندها ومعالجتها، والتفريق بيتها وبين الفخر المستحق بالذات والقائم على منجزات قيمية وأخلاقية حقيقية، وهذه مفاصل ثقافية خاض فيها الكثير من الكتاب العرب الذين تفرغوا لتقييم الواقع العربي ومنجزات ثقافته، فوجدوا في هذه الثقافة الكثير من السلبيات التي تكرست بوصفها حقائق ووصلت الينا على أنها مناقب لا يمكن مناقشتها أو المساس بقيمتها,

لقد مارس نزار قباني بناء على ماتقدم نقدا ثقافيا هاجم فيه الأنساق الموروثة التي يجب حسب رؤيته فرز جمالياتها عن عيوبها وتشخيص سلبياتها كخطوة أولى لمعالجة الواقع العربي برؤية تحترم التراث لكنها لاتقف عنده وتعتبره أفضل مايمكن إنجازه، وهكذا وجدناه منافحا عن حقوق المرأة ضد السلطة الذكورية التي مورست عليها، ومدافعا عن حقوق الشعوب في ضوء علاقتها بالسلطة ورفض صناعة طاغية باسم طاعة المحكوم للحاكم دون مناقشة سلبيات الحاكم كما في كل العالم المتمدن، كما نبه الشاعر من خلال شعره بصوت الناقد الثقافي إلى عيوب تعامل العرب اليوم مع غابر ثقافتهم التي مثلت عصرها وآن للعربي اليوم أن يفعل مايجعله هو الاخر يبني مجدا معاصرا يتناسب مع كونه ابن هذا العصر.

قائمة المصادر والمراجع :

- ادونيس (2006) الثابت والمتحول. ط8. ج1. دار العودة. بيروت .
- ايغلتون، تيري (2014) مقدمة في نظرية الأدب. ط1. ترجمة: ثائر ديب. المنظمة العربية للترجمة. بيروت
- بزيع، شوقي (2004) نزار قباني: شاعر المرأة والسياسة. ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت
- حسين، طه (1989) في الشعر الجاهلي. ط15. دار المعارف. القاهرة .
- ديورنج، سايمون (2005) الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية. ط1. ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة .
- طرابيشي، جورج (1996) نقد نقد العقل العربي. جورج طرابيشي. ط1. دار الساقي. بيروت .
- عابد، محمد (2008) بنية العقل العربي. ط8. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت .
- عابد، محمد (2009) تكوين العقل العربي. ط9. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت .
- عليمات، يوسف (2012) النقد الثقافي: مقاربات في الأنساق الثقافية العربية. ط1. دار كنوز المعرفة. عمّان .
- الغذامي، عبدالله (2004) الثقافة التلفزيونية. سقوط النخبة وبروز الشعبي. المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء.
- الغذامي، عبدالله (2005) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. ط3. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .
- غرامشي، أنطونيو (1991) كراسات السجن. ط1. ترجمة: فواز طرابلسي. دار المستقبل العربي. بيروت.
- فوكو، ميشيل (1985) نظام الخطاب. ط1. ترجمة: محمد سبيلا. دار التنوير. بيروت .
- قباني، نزار (1970) قصتي مع الشعر. ط1. دار رياض الريس للكتب والنشر. لندن.
- قباني، نزار (1974) الحب والجنس والثورة. ط1. منشورات نزار قباني. بيروت .
- قباني، نزار (1998) الشعر قنديل أخضر. ط5. منشورات نزار قباني. بيروت .
- قباني، نزار (2006) الأعمال الشعرية الكاملة. ط14. منشورات نزار قباني. بيروت .
- هول، ستيورات (2015) الهوية والثقافة والشتات. ط1. ترجمة: رشا عبد الله. المركز القومي للترجمة. القاهرة .
- الوردي، علي (1995) وعاظ السلاطين. ط1. دار كوفان. لندن.
- الوردي، علي (2001) مهزلة العقل البشري. ط2. دار الوراق. بغداد .
- وليامز، ريموند (2011) الثقافة والمجتمع. ط1. ترجمة: ثائر ديب. المنظمة العربية للترجمة. بيروت .

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- Adonis (2006) The Constant and the Changing. 8th ed. Vol. 1. Dar al-Awda. Beirut.
- Eagleton, Terry (2014) An Introduction to Literary Theory. 1st ed. Translated by Thaer Deeb. Arab Organization for Translation. Beirut.
- Bazie, Shawqi (2004) Nizar Qabbani: Poet of Women and Politics. 1st ed. Arab Foundation for Studies and Publishing. Beirut.
- Hussein, Taha (1989) On Pre-Islamic Poetry. 15th ed. Dar al-Maaref. Cairo.
- During, Simon (2005) Cultural Studies: A Critical Introduction. 1st ed. Translated by Wafaa Ibrahim and Ramadan Bastawisi. Supreme Council of Culture. Cairo.
- Tarabishi, George (1996) A Critique of the Critique of Arab Reason. George Tarabishi. 1st ed. Dar al-Saqi. Beirut.
- Abed, Muhammad (2008) The Structure of Arab Reason. 8th ed. Center for Arab Unity Studies. Beirut –
- Abed, Muhammad (2009) The Formation of the Arab Mind. 9th ed. Center for Arab Unity Studies. Beirut –
- Alimat, Youssef (2012) Cultural Criticism: Approaches to Arab Cultural Patterns. 1st ed. Dar Kunooz Al-Ma'rifah. Amman –
- Al-Ghadhami, Abdullah (2004) Television Culture: The Fall of the Elite and the Rise of the Popular. Arab Cultural Center. Casablanca.
- Al-Ghadhami, Abdullah (2005) Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Patterns. 3rd ed. Arab Cultural Center. Casablanca –
- Gramsci, Antonio (1991) Prison Notebooks. 1st ed. Translated by Fawaz Traboulsi. Arab Future House. Beirut.
- Foucault, Michel (1985) The Order of Discourse. 1st ed. Translated by Muhammad Sbeila. Dar Al-Tanweer. Beirut –
- Qabbani, Nizar (1970) My Story with Poetry. 1st ed. Riyad Al-Rayyes Books and Publishing House. London.
- Qabbani, Nizar (1974) Love, Sex, and Revolution. 1st ed. Nizar Qabbani Publications. Beirut.
- Qabbani, Nizar (1998) Poetry: A Green Lamp. 5th ed. Nizar Qabbani Publications. Beirut.
- Qabbani, Nizar (2006) Complete Poetic Works. 14th ed. Nizar Qabbani Publications. Beirut.

- Hall, Stewart (2015) Identity, Culture, and Diaspora. 1st ed. Translated by Rasha Abdullah. National Center for Translation. Cairo.
- Al-Wardi, Ali (1995) Preachers of the Sultans. 1st ed. Kovan Publishing House. London.
- Al-Wardi, Ali (2001) The Farce of the Human Mind. 2nd ed. Al-Warraq Publishing House. Baghdad.
- Williams, Raymond (2011) Culture and Society. 1st ed. Translated by Thaer Deeb. Arab Organization for Translation. Beirut.